بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لقمان (٤)

النوع الثاني: تكرار اللفظ.

وأوضح مثال له تكرار الآية أكملها إما في السورة الواحدة نظير تكرار قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الرحمن (٣١)، إحدى وثلاثين مرة في سورة الرحمن.

أو تكرار قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الطور (١١)، عشر مرات في سورة المرسلات.

أو كان التكرار في سورتين كالآية التي نحن بصدد التعرض لتفسيرها وهي قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لقمان (٤)، حيث تكررت في سورة لقمان وسورة النمل.

فما هو المنظور في التكرار –بهذا النوع– في القرآن الكريم؟

يمكن أن يقال: إن المنظور في التكرار القرآني تحقيق أهداف متعددة في عدة مجالات:

المجال الأول: المجال البياني.

وهو ما يتعلق بعالم الصياغة والبيان، وهذا يمكن التماسه من جهتين:

الجهة الأولى: وهي تبتني على مقدمتين:

المقدمة الأولى: قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ القمر (١٧)، وظاهر هذه الآية أن صياغة القرآن تمت بنحو سلس ومنسجم مع الأساليب المتعارفة لدى العرب بحيث يكون ميسوراً وفي متناول أفهامهم.

المقدمة الثانية: من ظواهر تيسير الذكر في القرآن الكريم محاكاة العرب في الأساليب البيانية المتعارفة عندهم ومن تلك الأساليب أسلوب التكرار، حيث إنه أسلوب متعارف عندهم في تراثهم الأدبي، لا سيّما فيما لو أرادوا إثارة الالتفات والانتباه فإنهم يكرّرون فقرة معينة في ضمن كلامهم، وهذا يعد أسلوباً من

أساليب حسن البيان في التراث الأدبي العربي، كقول الحارث بن عبادة:

قَرِّبا مَربَطَ النَعامَةِ مِنّي ...لَقِحَت حَربُ وائِلٍ عَن حِيالِ

حيث كرره في قصيدة واحدة أربعة عشر مرة.

وقول المهلهل ابن ربيعة يرثي أخاه:

عَلى أَن لَيسَ عَدلاً مِن كُلَيبٍ...إِذا خافَ المُغارُ مِنَ المُغيرِ

وقد كرر هذا البيت عشر مرات في قصيدة واحدة.

وعليه نقول: إذا كان القرآن ميسوراً للذكر على طبق أساليب العرب فمن حسن البيان فيه التكرار في الموارد التي تحتاج الفقرة إلى إثارة الالتفات والانتباه، ولذا نجد القرآن الكريم يكرر في الموارد التي يُراد منها جذب الانتباه من قبيل قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ القيامة (٣٤-٣٥)، ومن قبيل قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ المدّثر (١٩-٢٠) المدّثر، أو قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ التكاثر (٣-٤).

الجهة الثانية: من الجهات البيانية الإبداعية في القرآن تحقيق الترابط اللغوي وتماسك النص من خلال ربط الألفاظ المختلفة برابطة واحدة، بحيث تكون السورة القرآنية بمثابة لوحة فنية متشابهة الألوان وهذا له أثر بلاغي وأثر نفسي.

أما الاثر البلاغي فهو أنه إذا رأى الانسان هذه السورة المتشاكلة بحيث تترابط كل آياتها بآية واحدة، فكلما ذكر آية رجع للآية المكررة مرة أخرى كما في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الرحمن (٣١) ثم يذكر نعمة ثم يعود ويكرر نفس الآية كان ذلك بمثابة تطريز لوحة فنية متشابهة الألوان والزوايا بحيث ينظر إليها الناظر بعين واحدة.

وأما الأثر النفسي فهو حصر الذهن في معنى معين، فإن من الأغراض البيانية للقرآن الكريم في بعض الموارد أن ينحصر الذهن في معنى معين ولا يغوص في عدة معاني وأغراض بل يُحصر في أفق معين يستدعي التأمل والالتفات.

المجال الثاني: المجال التعليمي.

وهذا يبتني على مقدمتين:

المقدمة الأولى: إن ظاهر قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران (٧).أن آيات القرآن على قسمين محكم ومتشابه، والمحكم هو عبارة عن الآيات التي تتضمن قاعدة كلية يُرجع إليها في فهم معاني الآيات الأخرى، بحيث تكون هذه القاعدة الكلية مرجعاً للفهم وللترابط بين الآيات المختلفة كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى (١١)، فهو بمثابة القاعدة التي يُرجع إليها عند تلقي آيات مختلفة، من قبيل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ طه (٥)، ونحو قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ القيامة (٢٣)، فإن فهم هذه الآيات وأمثالها يكون بالرجوع إلى الآية المحكمة وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

المقدمة الثانية: من هذا المنطلق الذي ذكرناه في المقدمة الأولى نقول:

إن تكرار بعض الآيات باعتبارها تمثل آية محكمة ويُراد من تكرارها الرجوع في فهم بعض الآيات إلى هذه الآيات المحكمة كقاعدة يُرجع إليها في فهم المتشابهات.

ومن باب المثال الآية التي نحن بصددها وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لقمان (٤) فقد تكررت في عدة موارد، حيث وردت في سورة النمل عندما قال ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم قال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ النّمل (٣)، وقال تعالى في سورة لقمان: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ لقمان (٣)، ثم قال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لقمان (٤)، وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة (٢)، ثم قال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ البقرة (٣).

فذكر هذه الآية بعد هذه الألفاظ لبيان قاعدة محكمة وهي أن المحسنين والمؤمنين والمتقين هم الذين يوصفون بهذه الأوصاف فإن ذِكرها بعد المحسنين تارة وبعد المؤمنين أخرى وبعد المتقين ثالثة لبيان أن كل هذه الأوصاف لا يمكن البناء على إطلاقها بل لا بد من رجوعها لهذه المحكمة وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ الحج (٦٢)، فقد تكررت في لقمان والحج.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ فاطر (٥)، فقد تكررت في فاطر ولقمان.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ المائدة (١٠٥)، فقد تكررت في الأنعام والمائدة.

ومن هذا الباب سورة لقمان حيث إن أغلب آيات سورة لقمان مكررة أي أنها مكررة في سور أخرى، لكن أغلب هذه الآيات المكررة هي من سنخ الآيات المحكمة التي تمثل بمضمونها قاعدة كلية يرجع إليها في فهم غيرها وتحقق الترابط بين الآيات المختلفة.

والنتيجة: إن القرآن كما جعل جملة من آياته محكمةً فإنه جعل بعض السور كذلك، ومن تلك السور سورة لقمان حيث إنها تضم بمضامينها مجموعة من القواعد الكلية التي تربط بين الآيات القرآنية من حيث تحديد المعنى والمفهوم.

المجال الثالث: المجال الفني.

ويبتني على مقدمتين:

المقدمة الأولى: لو خلا القرآن عن التكرار لقيل بأن القرآن خارج عن امكان البشر ويمتنع مجاراته، وامتناع مجاراته منتف بانتفاء موضوعه؛ لأنه أساساً خارج عن القدرة البشرية، فلذلك لا وجه لأن يتحدى القرآن البشر مع كونه خارجاً عن قدرتهم، فإن التحدي مع كونه خارجاً عن قدرتهم يكون لغواً لا يصدر من الحكيم، إذ التحدي فرع وجود جامع مشترك بين طرفين يتنافسان حتى يكون ذلك الجامع المشترك مجالًا للتحدي كما في مجال التحدي في الشعر والفن وألعاب البطولة ونحو ذلك مما يشتمل على ميدان مشترك يُتصور فيه التنافس والتغالب بين عدة أطراف، بينما إذا لم يشتمل القرآن على جامع مشترك بينه وبين أساليب البشرية فلا معنى للتحدي لأنه خارج عن إطار القدرة البشرية بل يكون التحدي حينئذ لغواً.

المقدمة الثانية: أراد الله بتكرار مجموعة من الآيات تمكين البشر من المجاراة وإعطاء فرصة لقاسم وجامع مشترك بين الأسلوب القرآني والأسلوب البشري، بحيث لا يبقى لهم مجال في الاحتجاج، بأنه لا مجال

للتحدي في القرآن الكريم فهو خارج عن إطار القدرة البشرية، فإن القرآن نزل إلى مستواهم وفتح لهم الفرصة في مجاراته بتكراره لبعض آياته، وهذا الأسلوب في حد نفسه بإمكان البشرية –لاسيما العرب منهم– من خلال أساليبها المتعارفة القيام بذلك، وهذا يعد استدراجاً من القرآن للبشر من أجل أن يصلوا إلى الإقرار بعجزهم عن مجاراة القرآن ومحاكاته حتى مع وجود الجامع المشترك بينه وبينهم ألا وهو استخدام أسلوب التكرار بين آياته، ولذلك قال تبارك وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ هود (١٣)، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يونس (٣٨).

المجال الثالث: المجال الروحي.

وهو عبارة عن استثارة النص القرآني للنزعات الفطرية لدى الإنسان، وبيان ذلك بذكر مقدمتين:

المقدمة الأولى: إن الإنسان كيان مركب من عنصرين: عنصر ملكي أرضي وعنصر ملكوتي.

فالعنصر الملكي الأرضي هو عبارة عن القوى الشهوية كشهوة الطعام وشهوة الجنس، والميول الشعورية كالميل نحو الحب والبغض والفرح والحزن، فهذه القوى الشهوية والميول الشعورية تربط الإنسان بالأرض وتشده إلى أن يكون كسائر الحيوانات الذي لا يفكر إلا في إشباع شهوته وإشباع ميوله ومشاعره، وهذا ما يعبر عنه في كلماتهم بقوس النزول، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ طه (٨١).

والعنصر الثاني العنصر الملكوتي وهو عبارة عن النزعات الفطرية في كيان الإنسان التي تشده نحو الأعلى وتبعده عن إطار الأرض، وهذه النزعات الفطرية هي النزعة نحو تقديس العظيم، فإن شعور الإنسان بأن هناك قوة خارقة أبدعت هذا العالم يدعوه ويشده نحو تقديس تلك القوة التي قال عنها تبارك وتعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الرّوم (٣٠)، ومن هذه النزعات الفطرية نزعة الإنسان نحو الصدق والعدالة والأمانة والإنصاف وما شاكل ذلك من المثل والقيم، وهذا ما يعبر عنه بقوس الصعود كما أشير إليه في قوله تعالى: اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، والإنسان بين هذين العنصرين –قوس النزول وقوس الصعود– جاءت هذه التكرارات في الآيات القرآنية كلها من سنخ واحد وهو سنخ ما يستثير النزعات الفطرية ليدعم توجه الإنسان نحو قوس الصعود والترفع عن المستوى البهيمي الأرضي،

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ آل عمران (١٤).

والنزعات الفطرية –كما ذكرت في كتب الأخلاق – هي ثلاث نزعات:

النزعة الأولى: نزعة الاستذكار.

فإنه بطبيعة الإنسان يمكن أن يكون في معرض الغفلة والسهو فيبتعد عن ذكر الله والارتباط به عز وجل، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف (١٧٩)، أي أن الغفلة إذا خيّمت على الإنسان حجبته عن ذكر الله تبارك وتعالى واستدرجته إلى الأرض وصار منغمساً في قوس النزول، فيحتاج مقابل هذه الغفلة إلى إثارة الاستذكار –التي هي نزعة فطرية في الإنسان– وهنا يأتي دور التكرار في الآيات القرآنية، فيحصل التكرار لإثارة هذه النزعة وذلك من خلال عدة أشكال:

إما من خلال تكرار بعض الآيات بغرض التأكيد على مضمون معين، كما في قوله تعالى: قَالَ جَلَّ في عُلاه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ الواقعة (١٠–١١) ، أو قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ التكاثر (٣–٤).

أو لتقرير الفكرة بحيث يسهم ذلك في رسوخها كما في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ سورة الكافرين.

النزعة الثانية: نزعة الخوف.

كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ المعارج (١٩–٢٠)، ومفادها أن الإنسان بنزعته الفطرية يفر من الضرر وإن كان محتملاً، ولذلك فإنه يحتاج إلى استثارة النزعة عنده بغرض توجيهه نحو الآخرة، ومن هنا جاء تكرار قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ المرسلات (١٥)، في سورة المرسلات بل في عدة سور.

النزعة الثالثة: نزعة الإنصاف.

فإن الإنسان لو خُليّ ونفسه بدون ملوثات فإنه بطبيعته يتجه إلى شكر المنعم وإنصاف من يمنُّ عليه بخدمة من الخدمات، وهذه النزعة الفطرية تحتاج أيضاً إلى استثارة وتدعيم ومن هنا جاء تكرار قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الرحمن (١٣)، فكلما ذكر نعمة دنيوية أو أخروية أعقبها بهذه المقولة استثارةً لنزعة شكر المنعم الكامنة في فطرة الإنسان.

والحمد لله رب العالمين.